

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ  
وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ  
عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرُّسُولَ ۗ أَلَمْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ  
كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ  
إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]

### ❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

ذَكَرَ سُبْحَانَهُ فِي  
الْآيَةِ السَّابِقَةِ  
الْهَدَايَةَ الْمَطْلُوقَةَ،  
وَذَكَرَ فِي هَذِهِ  
الْآيَةِ السَّبَبَ  
الْمُوجِبَ لِهَدَايَةِ  
هَذِهِ الْأُمَّةِ

الآية السابقة انتهت بهداية المسلمين إلى ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢)،  
وابتدأت هذه الآية بوصف المسلمين بأنهم (أُمَّةٌ وَسَطٌ): أُمَّةُ الْعَدْلِ  
وَالْخَيْرِيَّةِ الَّتِي يَصْنَعُهَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَيَتَسَبَّبُ فِي إِخْرَاجِهَا  
لِلْعَالَمِينَ، "وَمَا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢)،  
وَالْمَطْلُوقُ يُحْمَلُ عَلَى الْمَقْيَدِ، فَإِنَّ الْهَدَايَةَ وَالضَّلَالَ لَهَا أَسْبَابُ  
أَوْجَبَتْهَا حِكْمَةُ اللَّهِ وَعَدْلُهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ  
بِأَسْبَابِ الْهَدَايَةِ، الَّتِي إِذَا أَتَى بِهَا الْعَبْدُ حَصَلَ لَهُ الْهَدَى كَمَا قَالَ  
تَعَالَى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (الأنعام: 16)، ذَكَرَ  
فِي هَذِهِ الْآيَةِ السَّبَبَ الْمُوجِبَ لِهَدَايَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَطْلُوقًا بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ  
الْهَدَايَةِ، وَمِنَ اللَّهِ عَلَيْهَا فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (1).

### ❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

جَعَلْنَاكُمْ  
أَوْجَدَكُمْ عَلَى  
هَيْئَةٍ وَنَصَبَكُمْ  
وَأَقَامَكُمْ

(1) ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾: يُقَالُ: جَعَلْتُ هَذَا الْبَابَ مِنْ شَجَرَةٍ كَذَا:  
صَنَعْتُهُ، وَجَعَلْتُ الطِّينَ خَزْفًا، وَجَعَلْتُ الشَّيْءَ: صَنَعْتُهُ وَصَوَّرْتُهُ (2)،  
وَالْأَصْلُ: تَحْوِيلُ الشَّيْءِ إِلَى وَضْعٍ أَوْ هَيْئَةٍ مَعِينَةٍ (بعد تحوّل كتلتها  
أو انتقالها)، كَالْفَسِيلَةِ تَحْوُلُ وَتَصِيرُ نَخْلَةً، وَجَعَلَ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ:

(1) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص: 70.

(2) ابن منظور، لسان العرب: (جعل).

يدلُّ على التَّحوِيلِ والتَّهْيِئَةِ على وضع خاصٍّ، وهو تحويلٌ للهَيْئَةِ بإنشاءِ هَيْئَةٍ جَدِيدَةٍ، فهو إِيْجَادٌ يَتَأَتَّى مِنْهُ النَّصْبُ (الإقامة)، ومن هذا النَّصْبِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112]؛ أي انتصب لك أعداءٌ كما انتصبوا للأنبياء من قبلك (1).

(2) ﴿أُمَّةٌ﴾: يُطْلَقُ لَفْظُ (أُمَّةٌ) على الْأَصْلِ وَالْمَرْجِعِ وَالْجَمَاعَةِ وَالِدَيْنِ (2)، كُلُّ شَيْءٍ يَضُمُّ إِلَيْهِ سَائِرَ مَا يَلِيهِ فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمَّى ذَلِكَ الشَّيْءَ أُمَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ أُمُّ الرَّأْسِ وَهُوَ الدِّمَاغُ (3)، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [التحل: 120]، أَي: إِمَامًا يُهْتَدَى بِهِ، وَهُوَ سَبَبُ الْاجْتِمَاعِ، وَالْأَصْلُ: تَضَامُّ شَيْءٍ أَوْ أَشْيَاءٍ مُتَجَانِسَةٍ، كَمَا تَضُمُّ تِلْكَ الْجِلْدَةُ الرَّقِيقَةَ مَادَّةَ الْمَخ (4).

معنى الأُمَّة  
في سياق الآية  
المُسلمون

(3) ﴿وَسَطًا﴾: الْأَصْلُ يَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ وَالنَّصْفِ، وَأَعْدَلُ الشَّيْءِ: أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ (5)، وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ مَكْتَنَفًا مِنْ حَوَالِيهِ أَوْ آخِذًا مِنْهُمَا بِالتَّسَاوِيِ امْتِدَادًا أَوْ قَدْرًا، "الْوَسَطُ: اسْمٌ لِمَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَصِفَ بِهِ، فَأُطْلِقَ عَلَى الْخِيَارِ مِنَ الشَّيْءِ" (6)؛ "فوسط الشيء هو أَصَوْنُهُ وَأَبْعَدُهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ، وَهُوَ أَيْضًا لُبُّ الشَّيْءِ، وَتَحَقَّقَتْ هَذِهِ الْمَلَاظِفُ فِي ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عُدُولًا خِيَارًا، أَخِذًا مِنَ التَّوَازُنِ بَيْنَ النَّاحِيَتَيْنِ، وَالْمَعْنَى نَفْسُهُ هُوَ الْمَرَادُ - لَدَى الْجُمْهُورِ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]، أَفْضَلُهُمْ وَأَرْجَحُهُمْ عَقْلًا (7)، وَهُوَ فِي الْآيَةِ هُنَا بِمَعْنَى الْعَدْلِ وَالْخَيْرِ، أَي: عُدُولًا خِيَارًا.

أَعْدَلُ الشَّيْءِ  
أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ

(1) جبل، للعجم الاشتقاقي للوصل: (جعل).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمم).

(3) الخليل، العين: (أمم).

(4) جبل، للعجم الاشتقاقي للوصل: (أمم).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وسط).

(6) أبو حيان، البحر للحيط: 2/6.

(7) جبل، للعجم الاشتقاقي للوصل: (وسط).

(4) ﴿شُهَدَاءٌ﴾: أصلُ مادّة (شهد) يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ<sup>(1)</sup>، ثم صُرِّفَت الكلمة في أداء ما تَقَرَّرَ عِلْمُهُ فِي النَّفْسِ، وشهد الشَّاهد عند الحاكم: بَيَّنَّ ما يعلم وأظهره، والشَّهادة: إخبارُ الإنسان بما عِلِمَهُ<sup>(2)</sup>.

فالشَّهداءُ في الآية: الَّذِينَ قَامُوا بِالْمُعَايَنَةِ، ويلزمهم: الحضورُ والعِلْمُ والإِعْلَامُ لاحقاً.

(5) ﴿يَنْقَلِبُ﴾: أصلُ مادّة (قَلَبَ) رَدُّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ، ثم عَبَّرُوا به عن مجرّد التَّغْيِيرِ الكثير<sup>(3)</sup>، "الانْقِلَابُ: الانْصِرَافُ وَالْإِرْتِجَاعُ، وَهُوَ لِلْمُطَاوَعَةِ، قَلْبَتُهُ فَاَنْقَلَبَ"<sup>(4)</sup>.

(6) ﴿عَقَبِيَّةٌ﴾: أصلُ مادّة (عَقَبَ) يَدُلُّ عَلَى تَأْخِيرِ شَيْءٍ وَإِتْيَانِهِ بَعْدَ غَيْرِهِ<sup>(5)</sup>، وانقلب على عقبه، نَحَوْرَجَ عَلَى حَافِرَتِهِ<sup>(6)</sup>، والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ [آل عمران: 144] أي: يَرْتَدُّ نَاكِصًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ، وهي كناية عن النُّكُوصِ عَنِ الْهُدَى<sup>(7)</sup>.

(7) ﴿لَكَبِيرَةٍ﴾: أصلُ مادّة (كَبَر) يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصِّغَرِ<sup>(8)</sup>، وَالْكِبَرُ بِتَسْكِينِ الْبَاءِ: الْعِظَمَةُ، وَكَذَلِكَ الْكِبَرِيَاءُ، وَمِنْ دَلَالَةِ الْعِظَمَةِ اسْتَعْمَلَتْ لِلثَّقَلِ وَالْعِظَمِ وَالْمَشَقَّةِ، "وَتَسْتَعْمَلُ الْكَبِيرَةُ فِيمَا يَشَقُّ وَيَصْعُبُ، نَحْوُ: ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]<sup>(9)</sup>، أي: ثَقُلَ عَلَيْهِمْ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، والمعنى نَفْسُهُ هُوَ الَّذِي جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، فهي بِمَعْنَى ثَقِيلَةٍ شَاقَّةٍ؛ وَالثَّقَلُ لَازِمٌ لِلْعِظَمِ<sup>(10)</sup>.

(8) ﴿لِيُضِيعَ﴾: أصلُ مادّة (ضِيعَ) يَدُلُّ عَلَى قَوْتِ الشَّيْءِ وَذَهَابِهِ وَهَلَاكِهِ<sup>(11)</sup>، ضَاعَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).

(2) جبل، اللعجم الاشتقاقي المؤصل: (شهد).

(3) جبل، اللعجم الاشتقاقي المؤصل: (قلب).

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 2/7.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).

(6) الرَّاغِب، المفردات: (عقب).

(7) جبل، اللعجم الاشتقاقي المؤصل: (عقب).

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).

(9) الرَّاغِب، المفردات: (كبر).

(10) جبل، اللعجم الاشتقاقي المؤصل: (كبر).

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضيع).

الشيء يضيع ضياعاً: إذا فُقد ولم يعلم موضعه، واستعملَ في الإبطالِ كالإضلالِ، فيقالُ: أضاعَ عمله وضيعه<sup>(1)</sup>.

(9) ﴿لَرُءُوفٌ﴾: أصلُ مادّة (رأف) يَدُلُّ عَلَى رِقَّةٍ وَرَحْمَةٍ<sup>(2)</sup>، والرَّأْفَةُ: أَشَدُّ الرَّحْمَةِ، أو أَرْقُفُهَا<sup>(3)</sup>، أي: رِقَّةٌ تَتَبَعُ مِنَ الدَّاخِلِ، وتكون لتخفيفِ العذابِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [التور: 2]، أمّا حين تُسَنَدُ الرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ إِلَى اللَّهِ تعالى فالمرادُ آثارُهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>، "وَأَسْمُ الْفَاعِلِ جَاءَ لِلْمُبَالَغَةِ عَلَى فِعُولٍ، كَضُرُوبٍ، وَجَاءَ عَلَى فِعْلٍ، كَحَذَرٍ، وَجَاءَ عَلَى فِعْلٍ، كَنَدَسٍ، وَجَاءَ عَلَى فِعْلٍ، كَصَعَبٍ"<sup>(5)</sup>.

### ❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

وكما هديناكم - أيها المسلمون - إلى الطريق الصحيح في الدين، جعلناكم أمةً خياراً عدولاً؛ لتشهدوا على الأمم في الآخرة أنّ رسلهم بلغتهم رسالات ربهم، وسوف يكون الرسول في الآخرة شهيداً عليكم أنّه بلغكم رسالة ربّه، وما جعلنا - أيها الرسول - قبلةً (بيت المقدس) التي كنت عليها، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ب (مكة)، إلّا ليظهر ما علمناه في الأزلي؛ علماً يتعلّق به الثواب والعقاب فيظهر في الواقع من يتبعك ومن ينقلب مرتدّاً عن دينه لشكّه ونفاقه، وإنّ هذه الحال التي هي تحوّل المسلم في صلاته من استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة لثقله شاقّة إلّا على الذين هداهم الله ومنّ عليهم بالإيمان والتقوى، وما كان الله ليضيع إيمانكم به وأتباعكم لرسوله، ويُبطلَ صلاتكم إلى القبلة السابقة؛ إنّّه - سبحانه وتعالى - بالناس لرءوف رحيم<sup>(6)</sup>.

إخبارٌ بخبريّة  
الأمّة،  
وشهادتها على  
الأمم، وذكرُ نُبأ  
تحويل القبلة

(1) السمين، عمدة الحقاظ: (ضيع).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رأف).

(3) الفيروبادي، القاموس للحيط: (رأف).

(4) جبل، للعجم الاشتقاقى للوصل: (رأف).

(5) أبو حيّان، البحر للحيط: 2/7.

(6) نخبة من العلماء، التفسير الميسر: 22.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، استدل به على أن الإيمان قول وعمل<sup>(1)</sup>.

### سَبَبُ النُّزُولِ:

أخرج البخاري وأحمد ومسلم والنسائي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستّة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تَحُولَ قِبَلَ الْبَيْتِ رَجُلًا قَتَلُوا، لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَنَزَلَ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.

التَّدرُّجُ في  
التَّغْيِيرِ، وَبَيَانُ  
أَنَّ الْخُرُوجَ  
عَنِ الْعَادَاتِ  
مِمَّا يَشُقُّ عَلَى  
النَّفُوسِ

دلّت الآية، وكذلك مجموع آيات تحويل القبلة، بما فيها من تهئية بأشكال متعدّدة قبل تغيير القبلة على أن التّغيير يُشترطُ له التّدرُّج؛ فإنّ "الخروجَ عن العاداتِ وتركِ الأمورِ المألوفاتِ، ممّا يشقُّ على النفوسِ"<sup>(3)</sup>، فعلى من يتولّى مهامَّ التّربية وقيادةِ المجتمعات أن يتدرّجوا في مثل هذه الأمور، لأنّها ممّا يشقُّ على النَّاسِ.

### ❁ الإيضاح اللّغويّ والبلاغيّ:

#### فَنَ الْإِطْنَابِ بِقَصْدِ التَّمْهِيدِ:

الإِطْنَابُ يُؤَسِّسُ  
لِعُنَى جَدِيدٍ،  
وهو شهادةُ هذه  
الأُمَّةِ عَلَى الْأُمَمِ

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ من قبيل الإطناب<sup>(4)</sup>؛ لأنّها مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَتَيْ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ و﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾، فأصلُ الكلام بلا إطنابٍ: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ

(1) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، ص: 33.

(2) خالد الزيني، للحرر في أسباب نزول القرآن: 1/220-221.

(3) ابن عجيبة، البحر اللديد: 1/176.

(4) الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط

البلغاء؛ لفائدة تقويته وتوكيده، أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 201.

قبلتهم الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وما جعلنا القبلة الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا، فلَمَّا انتهت الجملة الأولى ببيان هداية الأمة إلى صراطِ الله المستقيم، انتقل - قبل أَنْ يُكْمَلَ الحديث عن القبلة - إلى بيان خيرية هذه الأمة وعدايتها، ثُمَّ بَيَّنَّ في هذا الإطنابِ سببَ جعل الأمة عُدُوًّا خِيَارًا وهو الشَّهادة على الأمم؛ حيثُ إِنَّ عدالةَ الأمة وكونها وسطًا لا علاقة له بالقبلة؛ فجيء بهذا الوصف لِيُؤَسَّسَ عليه معنى جديدٌ، وهو شهادة هذه الأمة على الأمم؛ لأنَّ الآياتِ الواقعة بعدها هي في ذكر أمر القبلة، وهذه الآية لا تتعلق بأمر القبلة<sup>(1)</sup>.

توجيه الخطاب في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾ "إلى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول ﷺ لتأييد ما في مضمون الكلام من التَّشْرِيفِ"<sup>(2)</sup>.

تشريف المؤمنين  
بمضمون  
الخطاب

### بيان المشبه به في قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾:

قد يسأل سائل: "ما المشبه وما المشبه به في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾؟ والجواب بتلخيص أقوال المفسرين:

كثرة المشبهات  
وقبول احتمالها  
دليل اعتدال  
هذه الأمة  
ووسطيتها

الأول: "أَنَّهُ شَبَّهَ جَعَلَهُمْ أُمَّةً وَسَطًا بِهِدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، أَي: أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِجَعْلِكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، مِثْلَ مَا سَبَقَ إِنْعَامُنَا عَلَيْكُمْ بِالْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَتَكُونُ الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَصْدَرِ الدَّالِّ عَلَيْهِ ﴿يَهْدِي﴾، أَي: جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خِيَارًا مِثْلَ مَا هَدَيْنَاكُمْ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

"الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أَي: كما هديناكم إلى قبلة إبراهيم وشريعته كذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا"<sup>(3)</sup>.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/15.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 171/172.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 218/219.

الثاني: أَنَّهُ شَبَّهَ جَعَلَهُمْ أُمَّةً وَسَطًا بِجَعْلِهِمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، أَي: جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا مِثْلَ ذَلِكَ الْجَعْلِ الْغَرِيبِ الَّذِي فِيهِ اخْتِصَاصُكُمْ بِالْهِدَايَةِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَلَا تَقَعُ الْهِدَايَةُ إِلَّا لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ "وذلك إشارة إلى مصدر ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ لا إلى جعلٍ آخر مفهوم ممَّا سبق كما قيل<sup>(1)</sup>.

الثالث: كَمَا جَعَلْنَا قِبْلَتَكُمْ أَفْضَلَ الْقِبَلِ، جَعَلْنَاكُمْ خَيْرَ الْأُمَمِ<sup>(2)</sup>.  
الرابع: كَمَا جَعَلْنَا قِبْلَتَكُمْ مَتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.  
الخامس: كَمَا جَعَلْنَا الْكَعْبَةَ وَسَطَ الْأَرْضِ، كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.  
وجميع هذه الأوجه فيها من اللطف الدلالي، والربط المعنوي ما يجعلها مقبولة على حدٍّ سواء، وإن اختلفت في نسبها، فلا خلافٍ تقديرها.

### دلالة اسم الإشارة في قوله ﴿وَكَذَلِكَ﴾:

استعمال  
اسم الإشارة  
الخاص بالبعيد  
لإفادة التعظيم  
والإشادة بعلو  
المنزلة

أفادت اللام في "كذلك" الإشارة للبعيد، والإشارة للبعد وظفها القرآن الكريم لبيان عظمة المُشار إليه وعلو مكانته، كقوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، وهو قريب مكانياً، ولكنه بعيد اعتبارياً، ويظهر هذا المعنى في هذه الآية الكريمة التي تتحدث عن قضية كبيرة هي تنصيب أمة في مقام رفيع، وإشادة بشأنها في عالم الشعوب والأمم، وتوحيه بخيريتها ووسطيتها، وهذا شأن عظيم ناسبه استعمال اسم الإشارة الخاص بالبعيد لإفادة التعظيم والإشادة بعلو المنزلة.

### سبب الخطاب بالمفرد ﴿وَكَذَلِكَ﴾:

إغناء اللحاق  
عنه؛ تخفيفاً  
واكتفاءً بدلالة  
المقام عليه

يتضمن اسم الإشارة حرفاً دالاً على الخطاب، والأصل أن يكون مناسباً للمخاطب، كقول يوسف ﷻ: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: 37] مخاطباً صاحبه في السجن، وقول امرأة العزيز مخاطبة النسوة اللاتي كن في مجلسها: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: 32]، وفي هذه الآية، الخطاب موجه إلى جماعة المسلمين:

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/172.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/110.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، فكان مقتضى الظاهر أن يُقال: كذلك، ولكنه وحّد الخطاب<sup>(1)</sup>؛ لأنّ تعيينَ المخاطبِ ظاهرٌ في ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ التّالي لاسمِ الإشارة، فيكونُ تخفيفاً؛ اكتفاءً بدلالةِ المقامِ مع عدمِ إثقالِ النّصّ.

### دلالة الانتقال من الحديث عن السّفهاء إلى خطابِ المؤمنين:

في الآية السّابقة كان حديثُ الآية عن السّفهاء، وكان الكلامُ عنهم بأسلوبِ الغيبة، وفي هذه الآية انتقلَ إلى مخاطبةِ المسلمين بياناً لفضلهم، وإظهاراً لمزيدِ تكرمهم، فالسياق ضربٌ صفحاً عن السّفهاء، بهذا الوصفِ المشين، وتوجّه بخطابِ المسلمين خطاباً يلملم معاني الشّرفِ والمجدِ الدّائم.

### إيثار الوصفِ بالمصدرِ المذكّرِ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾:

الأصلُ في التعبيرِ الوصفُ بالمُشتقّ، ولكنّ البيانَ القرآنيّ أثرَ لفظِ ﴿وَسَطًا﴾ وهو مصدرٌ دون متوسطة؛ تصويراً للمبالغة في وصف أفراد الأُمَّة كلّها بأنهم عدوّ خيارٍ أهل فضلٍ، والوصفُ بالمصدر يدخلُ في باب المبالغة، كأنّهم تحوّلوا حقيقةً إلى كونهم وَسَطًا، وجاء الوصفُ مذكّراً "لِكَوْنِهِ اسْمًا كَانَ لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ"<sup>(2)</sup>، وفيه أنّ هذه الأُمَّة يحملُ بعضها بعضاً، فهم مُتَكَافِونَ على الخيرِ، أمرون بالمعروف، ناهون عن المنكر، وبه كانوا أُمَّةً وَسَطًا؛ إذ وسطيةُ الإسلامِ تعني الالتزامَ بشرعِ الله تعالى، كما أنزله دون تحريفٍ مقصودٍ، أو تأويلٍ لموافقةِ الهوى بحجّةِ الوسطية، فالوسطيةُ هي حكمُ الله تعالى لا آراءُ الرّجال، ولا أهواءُ ذوي المال.

يُمثِّلُ الانتقالُ  
إهمالَ السّفهاءِ  
والتّوجّهَ كليّاً إلى  
المؤمنين

الوصفُ بالمصدرِ  
يفيدُ المبالغةَ،  
في بيانِ وسطيةِ  
الأُمَّةِ

(1) البروسوي، روح البيان: 247/1-248

(2) أبو حيّان، البحر للحيط: 2/6.

## نُطْفُ الاستعارة في وصفِ ﴿أُمَّةٌ﴾ بـ ﴿وَسَطًا﴾:

الخصال  
المحمودة وسط  
بين الخصال  
الذميمة، وهذا  
حال الأمة مع  
غيرها

الوسط "في الأصل اسمٌ لما يستوي نسبة الجوانب إليه كالمركز، ثم استعير للخصال المحمودة البشريّة؛ لكونها أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها في طرفي الإفراط والتفريط كالجود بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين الجبن والتهور"<sup>(1)</sup>، وعلى ذلك فمعنى: "﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾؛ أي: خياراً عدولاً، فالوسط مستلزم للخيار والعدول، فأطلق الملزوم وأراد اللازم، فيكونان استعارة"<sup>(2)</sup>، والأمة وسط بين الأمم؛ كالخصال الحميدة بين الخصال الذميمة.

## معنى حرف اللام في ﴿لَتَكُونُوا﴾:

معيّز الوسطيّة  
الشهادة على  
الناس

اللام في قوله: ﴿لَتَكُونُوا﴾ هي لام كي، فمجيء ما بعدها سبباً لجعلهم خياراً<sup>(3)</sup>؛ فقوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ تعليلٌ لجعل المسلمين أمةً وسطاً، وفيه إعدادٌ نفسيّ لهم ليأخذوا الأمانة بقوة ويشهدوا شهادة حق حين يُطلب منهم ذلك، فإن قيل: "كيف جعلهم وسطاً؟ أخلق أم لخلق خصمهم به؟ أم لعلم ركزه فيهم؟ أم لشرع شرعه لهم؟ قيل: قد خصهم بكل ذلك، والظاهر من ذلك هي الشريعة التي إذا اعتبرت بسائر الشرائع وُجد لها حد الاعتدال"<sup>(4)</sup>.

## دلالة حرف الاستعلاء في قوله: ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾:

ضمّن  
﴿شُهَدَاءَ﴾  
معنى الرقيب  
والمُهيّمين على  
الشهود له

فعل الشهادة يتعدى بحرفي الجرّ (على) و(اللام)، والمعهود في كلام العرب أنّ (شهد لـ) تُستعمل فيما فيه منفعة، و(شهد على) تُستعمل فيما فيه مضرّة، وقد جاء تعدّي فعل الشهادة في هذه الآية بحرف الاستعلاء (على)، و"إنّما قال: ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ولم

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 2/293.

(2) الهري، حقائق الروح والريحان: 3/23.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 2/13.

(4) الراغب، تفسير الراغب: 1/329.

يَقُلْ: (شُهِدَاءَ لِلنَّاسِ) لِأَنَّ قَوْلَهُمْ يَفْتَضِي التَّكْلِيفَ إِمَّا بِقَوْلٍ وَإِمَّا بِفِعْلٍ، وَذَلِكَ عَلَيْهِ لَا لَهُ فِي الْحَالِ<sup>(1)</sup>.

وذهب الزمخشري إلى أَنَّ فِعْلَ الشَّهَادَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ضَمَّنَ مَعْنَى الرَّقِيبِ وَالْمُهِيمِينَ عَلَى الْمَشْهُودِ لَهُ، فَقَالَ: "فَإِنْ قُلْتَ: هَلَا قِيلَ: لَكُمْ شَهِيدًا، وَشَهَادَتُهُ لَهُمْ لَا عَلَيْهِمْ! قُلْتَ: لَمَّا كَانَ الشَّهِيدُ كَالرَّقِيبِ وَالْمُهِيمِينَ عَلَى الْمَشْهُودِ لَهُ، جَاءَ بِكَلِمَةِ الْإِسْتِعْلَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الجدالة: 6]، ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الأنعام: 117]"<sup>(2)</sup>.

وَالشَّأْنُ نَفْسُهُ يَسْرِي فِي شَهَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ، قَالَ الْعَلَامَةُ الطَّبِيُّ: "وَقُلْتُ: التَّحْقِيقُ فِيهِ مَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ (شَهِدَ عَلَيْهِ) إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِمَا فِيهِ مَضَرَّةُ الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ، وَأَوْجَبَ هَا هُنَا مَقَامُ الْمَدْحِ الْحُكْمَ بِالْعَكْسِ، وَأَنْ يُضْمَنَ الشَّهِيدُ مَعْنَى الرَّقِيبِ وَالْمُهِيمِينَ لِيُفِيدَ مَعْنَى التَّرْكِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمُزَكِّيَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُرَاقِبًا عَلَى أَحْوَالِ الْمُزَكَّى، فَإِذَا شَاهَدَ مِنْهُ مَا اقْتَضَى الصَّلَاحَ وَالرُّشْدَ وَالْهَدَايَةَ لَا يَشْهَدُ إِلَّا بَعْدَالَتِهِ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا تَرْكِيتُهُ؛ فَفِي الْكَلَامِ تَضْمِينٌ ثُمَّ كِنَايَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"<sup>(3)</sup>.

### إِثَارُ التَّعْبِيرِ بِالرَّسُولِ:

"وَأَتَى بِلفظِ الرَّسُولِ، لِمَا فِي الدَّلَالَةِ بِلفظِ الرَّسُولِ عَلَى اتِّصَافِهِ بِالرَّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى أُمَّتِهِ"<sup>(4)</sup>.

اِخْتِلَافُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿شُهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وَ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾:

فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْآيَةِ نَجْدُ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا بَيْنَ تَرْكِيبَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ مُتَعَاظِفَيْنِ هُمَا: ﴿شُهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، وَ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾؛ حَيْثُ قَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وَأَخَّرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿شُهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

التَّنبِيْهُ عَلَى  
اتِّصَافِهِ  
بِالرَّسَالَةِ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ إِلَى  
أُمَّتِهِ

تَشْرِيفٌ هَذِهِ  
الْأُمَّةُ؛ فَإِنَّهَا  
تَشْهَدُ عَلَى الْأُمَمِ  
وَلَا يَشْهَدُ عَلَيْهَا  
إِلَّا رَسُولُهَا

(1) الرازي، التفسير الكبير: 89/4/88.

(2) الزمخشري، الكشاف: 1/199.

(3) الطَّبِيُّ، فتوح الغيب: 3/134.

(4) أبو حَتَّانَ، البحر المحیط: 2/14.

”أُخِّرَتْ صَلَةُ الشَّهَادَةِ أَوَّلًا وَقُدِّمَتْ آخِرًا؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْأَوَّلِ إِثْبَاتُ شَهَادَتِهِمْ عَلَى الْأُمَمِ، وَفِي الْآخِرِ اخْتِصَاصُهُمْ بِكَوْنِ الرَّسُولِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ“<sup>(1)</sup>، فَتَقْدِيمُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يُفِيدُ الْحَصْرَ<sup>(2)</sup>؛ لِبَيَانِ اخْتِصَاصِ شَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأُمَّتِهِ، وَلَمْ يَقْدَمْ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿شَهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْحَصْرَ<sup>(3)</sup>، ”وَقَدِّمْتُ الصَّلَةَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ بِكَوْنِ الرَّسُولِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ“<sup>(4)</sup>، وَلَا يَخْفَى أَنَّ فِي هَذَا التَّقْدِيمِ تَشْرِيفًا لِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ حَيْثُ إِنَّهَا تَشْهَدُ عَلَى الْأُمَمِ وَالرَّسْلِ وَهِيَ لَا يَشْهَدُ عَلَيْهَا إِلَّا رَسُولُهَا<sup>(5)</sup>.

أَمَّا ”﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فَتَقَدَّمَ مِنْ بَابِ الْإِسْعَاعِ فِي الْكَلَامِ لِلْفَصَاحَةِ، وَلِأَنَّ ﴿شَهِيدًا﴾ أَشْبَهُ بِالْفَوَاصِلِ وَالْمَقَاطِعِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿شَهِيدًا﴾ تَمَامَ الْجُمْلَةِ، وَمَقْطَعَهَا دُونَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمَخْشَرِيُّ مِنْ أَنَّ تَقْدِيمَ (عَلَى) أَوَّلًا، لِأَنَّ الْغَرَضَ فِيهِ إِثْبَاتُ شَهَادَتِهِمْ عَلَى الْأُمَمِ وَتَأْخِيرَ (عَلَى) لِاخْتِصَاصِهِمْ بِكَوْنِ الرَّسُولِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى مَذْهَبِهِ: أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَفْعُولِ وَالْمَجْرُورِ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بَطْلَانَ ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَأَنَّ ذَلِكَ دَعْوَى لَا يَقُومُ عَلَيْهَا بُرْهَانٌ“<sup>(6)</sup>.

### جمالُ اللقابلة بين الجُمْلِ:

جملة: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وجملة: ﴿وَيَكُونِ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ مَبْنِيَّتَا عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ، مَعَ اخْتِلَافٍ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَهَذَا مُحَسَّنٌ مَعْنَوِيٌّ مِنْ مُحَسِّنَاتِ الْكَلَامِ يُسَمَّى: الْمُقَابَلَةُ<sup>(7)</sup>.

### عَوْدٌ عَلَى بَدْءِ:

بعدما انْتَهَى الْإِسْتِطْرَادُ فِي الْجُمْلَةِ الْإِعْتِرَاضِيَّةِ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾ الَّتِي بَيَّنَّتْ

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 1/138.

(2) الحصر، أو القصر: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، أو هو تخصيص الحكم بالذكور في الكلام، ونفيه عن سواه، أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 165.

(3) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 1/199، 200، وَابْنُ جَزِيٍّ، التَّسْهِيلُ لَعُلُومِ التَّنْزِيلِ: 1/99.

(4) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: 1/111.

(5) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 2/22.

(6) أَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ لِلْحَيْطِ: 14/2.

(7) الْمُقَابَلَةُ: هِيَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّزْيِيدِ، وَالْمُرَادُ بِالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ، وَالتَّفْتَازَانِي،

مختصر للعاني، ص: 380.

## مزيد تفصيل في شأن القبلة

وَسَطِيَّةَ الْأُمَّةِ وَكَوْنَهَا شَاهِدَةً عَلَى الْأُمَمِ، رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى الْإِجَابَةِ عَنْ اعْتِرَاضِهِمُ الَّذِي أَثَارُوهُ حَوْلَ مَوْضُوعِ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ: ﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، فجاءَ بِمَزِيدٍ مِنَ التَّفْصِيلِ فِي الْمَوْضُوعِ. **تَفْخِيمُ شَأْنِ الْقِبْلَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾:**

أَسْنَدَ الْجَعْلُ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴿جَعَلْنَا﴾ الْعَائِدِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَفْخِيمًا لِشَأْنِ الْقِبْلَةِ وَتَشْرِيفًا لَهَا<sup>(1)</sup>.

### تُكْنَةُ تَعْرِيفِ الْقِبْلَةِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ:

تَكَرَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْقِبْلَةُ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾؛ حَيْثُ وَرَدَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ جَاءَتْ كَلِمَةُ الْقِبْلَةِ مَعْرِفَةً بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ الَّتِي تَفِيدُ الْعَهْدَ الذَّكْرِيَّ<sup>(2)</sup>، بِمَعْنَى الْقِبْلَةِ الَّتِي مَضَى ذِكْرُهَا أَنْفًا، وَعَدَلَ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا بِاسْمِهَا فَلَمْ يَقُلْ: (وَمَا جَعَلْنَا قِبْلَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)، بَلْ عَبَّرَ عَنْهَا بِالِاسْمِ الْمَوْصُولِ؛ لِتَحْقِيقِ التَّمَاثُلِ مَعَ بِنَاءِ الْجُمْلَةِ الَّتِي عَبَّرَتْ عَنْ حَدِيثِهِمْ: ﴿قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾<sup>(3)</sup>؛ لِيَكُونَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ مُشَاكَلًا وَمُمَاثِلًا لَجِنْسِ لَفْظِهِمْ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ تَكَرُّرَ الْعِبَارَاتِ يَمْنَحُ النَّصَّ إِيقَاعًا جَمِيلًا وَيَزِيدُ فِي تِمَاسُكِ أَجْزَائِهِ، وَيَدْعُو السَّمَاعَ إِلَى اسْتِذْكَارِ الْعِبَارَاتِ السَّابِقَةِ وَالرَّبْطِ بَيْنَهَا.

### حذف المضاف في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾:

حُذِفَ الْمُضَافُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾ "وَالْمَعْنَى: وَمَا جَعَلْنَا صَرْفَ الْقِبْلَةِ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَتَحْوِيلَهَا، فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ"<sup>(4)</sup>.

الردُّ على  
المشركين  
مُشَاكَلٌ لَجِنْسِ  
لفظهم

(1) محمد بن سعد الدَّبَل، دليل البلاغة القرآنية: 1/198.

(2) العهد الذَّكْرِي: أن يتقدم للمعرِّف به ذِكْرٌ سَابِقٌ فِي الْفِظِ نَحْوِ (زَارْنَا رَجُلًا فَأَكْرَمْتِ الرَّجُلَ)، وَلِلْعَنَى أَنْكَ أَكْرَمْتَ الرَّجُلَ الَّذِي تَقْدَمُ ذِكْرُهُ فِي الْعِبَارَةِ.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/22.

(4) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/220.

**القصرُ في قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾:**

علّة تحويل  
القبلة امتحان  
الناس في  
اتباعهم وثنائهم

النَّفْيُ والاستثناءُ من طُرُقِ القصر<sup>(1)</sup>، فقوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ "استثناءٌ مُفْرَغٌ مِنَ الْمَفْعُولِ لَهُ، وَفِيهِ حَصْرُ السَّبَبِ، أَي: مَا سَبَبَ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ إِلَّا كَذَا"<sup>(2)</sup>، "﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ استثناءٌ مفرغٌ من أعمّ العلل، أَي: مَا جَعَلْنَا ذَلِكَ لشيءٍ من الأشياءِ إِلَّا لِنَمْتَحِنَ النَّاسَ، أَي: نَعَامِلُهُمْ مَعَامَلَةً مَنْ يَمْتَحِنُهُمْ"<sup>(3)</sup>.

وقد جاء القصرُ في الآيةِ لبيانِ العلّةِ من تحويلِ القبلةِ، وهو الجوابُ عن سؤالهم: ﴿مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ﴾؛ فَإِنَّ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ لَيْسَ حَدَثًا عِبْثِيًّا خَالِيًّا مِنَ الْغَايَةِ وَالْهَدَفِ، بَلْ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَقَعَ فِي خِيَالِ الْمُتَأَمِّلِ وَالْبَاحِثِ عَنِ الْجَوَابِ، فَجَاءَتِ الْآيَةُ تَنْفِي جَمِيعِ تِلْكَ التَّخْمِينَاتِ وَتَحْصُرُ الْعِلَّةَ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ "استثناءٌ من عِللٍ وَأَحْوَالٍ، أَي: مَا جَعَلْنَا ذَلِكَ لَسَبَبٍ وَفِي حَالٍ إِلَّا لِنُظْهِرَ مَنْ كَانَ صَادِقَ الْإِيمَانِ فِي الْحَالَتَيْنِ: حَالَةَ تَشْرِيعِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَحَالَةَ تَحْوِيلِ الْاسْتِقْبَالِ إِلَى الْكَعْبَةِ"<sup>(4)</sup>؛ فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّ شَأْنُهُ - لَا تَغَيُّبُ عَنْهُ طَوِيلُهُمْ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ابْتِلَاءٍ لِيَكْشِفَهَا، وَلَكِنَّهُ يُظْهِرُهَا لَنَا مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ؛ حَتَّى نَعْلَمَهَا نَحْنُ، فَالْكَشْفُ وَالْإِعْلَامُ لَيْسَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، بَلْ هُوَ لَنَا، وَنُظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31].

**لِلجَازِ بِإِسْنَادِ الْعِلْمِ الْحَادِثِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾:**  
إِنْ اسْتَشْكَلَ مُسْتَشْكِلُ إِسْنَادِ الْعِلْمِ الْحَادِثِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: "هَذَا الْكَلَامُ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ سَبَبًا لِأَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ

عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى  
أَزَلِّي، وَمَا جَاءَ فِي  
الآيَةِ فَمَحْمُولٌ  
عَلَى مَا يَلِيقُ  
بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ

(1) القصر: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والطريق للخصوص في الآية: (النفي والاستثناء).  
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 2/15.  
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/173.  
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/22.

يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا؛ لَأَنَّهُ عَالِمٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ وَقَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، فَمَا وَجْهُ هَذَا الْكَلَامِ؟ فَالْجَوَابُ:

قَالَ قَوْمٌ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: أَي: لَنَرَى، فَعَبَّرَ عَنِ الرُّبُوبِيَّةِ بِالْعِلْمِ.  
وَقَالَ قَوْمٌ: إِلَّا لَنُمَيِّزَ هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى يَشْتَمِلُ عَلَى الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ، فَالْعِلْمُ بِالْمَوْجُودِ يُوجِبُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَالْعِلْمُ بِالْمَعْدُومِ لَا يُوجِبُ شَيْئاً حَتَّى يُوجِدَهُ، فَإِذَا أَوْجَدَهُ عِلْمُهُ مَوْجُوداً، فَهَذَا الْعِلْمُ بَعْدَ الْوُجُودِ حِينَئِذٍ يُوجِبُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، فَهَذَا شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْلُومِ لَا إِلَى الْعِلْمِ، فَإِذَا حَصَلَ الْمَعْلُومُ تَعَلَّقَ بِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِسَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ، وَإِذَا لَمْ يَحْصَلِ الْمَعْلُومُ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ حُكْمُهُ<sup>(1)</sup>.

وَقَالَ قَوْمٌ: "أَوَّلُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَي: لِيَعْلَمَ رَسُولُنَا وَالْمُؤْمِنُونَ، وَأَسْنَدَ عِلْمَهُمْ إِلَى ذَاتِهِ، لِأَنَّهُمْ خَوَاصُّهُ وَأَهْلُ الزُّلْفَى لَدَيْهِ، فَيَكُونُ هَذَا مِنْ مَجَازِ الْحَذْفِ"<sup>(2)</sup>.  
"أَوْ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالْعِلْمِ التَّثْبِيتَ، أَي: لِنُثَبِّتَ التَّابِعَ، وَيَكُونُ مِنْ إِطْلَاقِ السَّبَبِ، وَيَرَادُ بِهِ الْمُسَبَّبُ؛ لِأَنَّ مَنْ عِلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ مُتَّبِعٌ لِلرَّسُولِ، فَهُوَ ثَابِتُ الْإِتِّبَاعِ.  
أَوْ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالْعِلْمِ الْجَزَاءَ، أَي: لِنُجَازِي الطَّائِعَ وَالْعَاصِيَّ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ التَّهْدِيدُ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ، بِذِكْرِ الْعِلْمِ، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ عَصَاكَ، وَالْمَعْنَى: أَنَا أَجَازِيهِ عَلَى ذَلِكَ.

أَوْ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالْمُسْتَقْبَلِ هُنَا الْمَاضِي، التَّقْدِيرُ: لَمَّا عَلِمْنَا، أَوْ لِعِلْمِنَا مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يُخَالِفُ.

فَهَذِهِ كُلُّهَا تَأْوِيلَاتٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، فِرَارًا مِنْ حُدُوثِ الْعِلْمِ وَتَجَدُّدِهِ، إِذْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ مُسْتَحِيلٌ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، أَوَّلُ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ"<sup>(3)</sup>.

(1) الباقولي، كشف المشكلات: 2/106.

(2) أبو حيان، البحر للحيط: 16/2-15.

(3) أبو حيان، البحر للحيط: 2/16.

## اجتماع فتى الالتفات مع إظهار ما حقه الإضمار:

قال جل شأنه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ ولم يقل: (يَتَّبِعُكَ)، حيث وجه الخطاب في البداية إلى النبي ﷺ ﴿كُنْتَ﴾، فكان الظاهر أن يستعمل الضمير دون الاسم الظاهر، فتحقق هنا التفات من الخطاب إلى الغيبة، ومن الإضمار إلى الإظهار؛ حيث صرح بلفظ الرسول لبيان أن سبب الاتباع هو الرسالة، وأن هذا الحكم هو تليغ من الرسول، وليس من محمد ﷺ بوصفه إنساناً، فأظهر لفظ ﴿الرَّسُولَ﴾ بياناً لوجه التشريع في المسألة، وتعظيماً لأمر القبله، وحثاً على اتباع النبي (1)، "والالتفات إلى الغيبة مع إيراده ﷺ بعنوان الرسالة للإشعار بعلّة الاتباع" (2).

## وظيفة الاستعارة في تصوير الردّ على عقبيه بقوله ﴿يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾:

قوله جل شأنه: ﴿مَنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ معناه: من يكفر بالله ورسوله ويرتد عن دينه، وهو استعارة، ووجهها: أن المنقلب على عقبيه قد ترك ما بين يديه وأدبر عنه، أي: أنهم لما تركوا الإيمان والدلائل صاروا بمنزلة المدبر عما بين يديه فوصفوا بذلك (3)، وهذا التعبير من الاستعارة التمثيلية (4) التي يكون فيها وجه الشبه منتزعا من متعدد، "بجامع أن المنقلب يترك ما في يديه ويدبر عنه على أسوأ أحوال الرجوع، وكذلك المرتد يرجع عن الإسلام ويترك ما في يديه من الدلائل على أسوأ حال" (5)؛ "فلذلك شبه المرتد في الدين به، وظاهر التشبيه أنه بالمتقهقر، وهي مشيئة الحيوان

الالتفات إلى  
الغيبة مع  
إيراده ﷺ  
بعنوان الرسالة  
للإشعار بعلّة  
الاتباع

المرتد عن دينه  
كالماشي المنقلب  
على عقبيه، وهو  
أسوأ حالات  
المنقلب

(1) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 1/302.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/173.

(3) الرازي، التفسير الكبير: 4/90.

(4) الاستعارة التمثيلية: اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها، مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 284.

(5) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 2/293.

الفازع من شيءٍ قد قَرَّبَ منه“<sup>(1)</sup>، أي: أَنَّهُ سبحانه وصفَ المرتدَّ عن دينه كالماشي المنقلب على عَقْبَيْهِ الرَّاجِعِ الْقَهْقَرَى، وهو أسوأُ حالاتِ الرَّاجِعِ فِي مَشْيِهِ عن وجهه. قال الشَّيْخُ رشيدُ رضا: ”ومعنى الانقلابِ على العَقْبَيْنِ هو الانصرافُ عن الشَّيْءِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْوَرَاءِ، وهو طريقُ الْعَقْبَيْنِ، فالْمُنْقَلِبُونَ قد خَرَجُوا من عِدَادِ الْمُؤْمِنِينَ، وعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر“<sup>(2)</sup>.

### نُكْتَةُ الْمَجَازِ فِي ﴿عَلَى عَقْبَيْهِ﴾:

”المجازُ المرسلُ في قوله: ﴿عَلَى عَقْبَيْهِ﴾، والعلاقةُ هي المصيرُ والمآلُ، فليس ثَمَّةَ أَسْمَحُ وَلَا أَقْبَحُ من رؤيةِ الْإِنْسَانِ مَعكُوسَ الْخِلْقَةِ، مُخَالِفًا لِلْمَأْلُوفِ الْمُعْتَادِ“<sup>(3)</sup>.

### فَنُ الطَّبَاقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَتَّبِعُ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿يَنْقَلِبُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ طَبَاقٌ؛ حيثُ جَمَعَ بينَ فَعْلَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْمَعْنَى: ﴿يَتَّبِعُ﴾ ﴿يَنْقَلِبُ﴾، وهو من المحسناتِ المعنويةِ<sup>(4)</sup>.

### فائدة التوكيد في قوله ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾:

(إِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ هي الْمُخَفَّفَةُ من (إِنَّ) المؤكَّدة، والدليلُ على أَنَّهَا (إِنْ) المُخَفَّفَةُ؛ دخولُ اللَّامِ المؤكَّدةِ -و- هي الفارقةُ بينها وبين النَّافِيَةِ-<sup>(5)</sup> على الخبرِ ﴿لَكَبِيرَةً﴾، والغرضُ من تخفيفها إيلاؤها ما لم يَجْزُ أَنْ يَلِيَهَا من الفعلِ، ومُسَوِّغُ التَّوكِيدِ فِي هَذَا السِّيَاقِ هُوَ أَنَّ أَمْرَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ الْمُفَاجِئِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ فِي مَكَّةِ الْمُكْرَّمَةِ لَمْ يَكُنْ سَهْلًا ميسورًا، وَإِنَّمَا هُوَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ وَيُبَلِّلُ بَعْضُهَا، فَاقْتَضَى الْمَقَامُ مَزِيدًا مِنَ التَّوكِيدِ فِي عَرْضِ الْخَبَرِ فَجِءَ بِ (إِنْ) الْمُخَفَّفَةِ.

تحويلُ القبلَةِ  
المُفَاجِئِ شاقٌّ  
على النَّفْسِ  
فاقتضى المقامُ  
مزيدًا من  
التَّوكِيدِ

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/220.

(2) رشيد رضا، المنار: 2/9، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/23-24.

(3) محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/203.

(4) محمد الدبل، دليل البلاغة القرآنية: 1/200.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/173.

مرجعُ الضمير في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾:

الضميرُ في قوله: ﴿كَانَتْ﴾ فيه وجهان<sup>(1)</sup>:

الضميرُ في  
(كانت) راجعُ  
إلى القبلة، أو  
إلى التحولِ إلى  
الكعبة

الأول: يعودُ إلى القبلة؛ لأنَّه لا بدَّ له من مذكورٍ سابقٍ، وما ذاك إلاَّ القبلةُ إلى بيت المقدس<sup>(2)</sup> في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: 143].

الثاني: أنَّه عائدٌ إلى ما دلَّ عليه الكلامُ السابقُ وهو مُفارقةُ القبلة، والتَّأْنِيثُ للتولية؛ لأنَّه قال: ﴿مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، ثم قال عطفًا على هذا: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾، أي: وإن كانت التولية إلى الكعبة<sup>(3)</sup>.

حذفُ الضمير للإيجاز في قوله: ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إيجازٌ بالحذف، "أي: هداهم الله؛ فحذفَ العائدَ من الفعلِ إلى ﴿الَّذِينَ﴾، وهو كثيرٌ في التَّنْزِيلِ، كقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۖ﴾ [الفرقان: 41]؛ أي: بعثه الله، فحذفَ الهاءَ، ولم يشبها كما أثبتها في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 375] وقوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 71] وقوله: ﴿وَأُتِلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ﴾ [الأعراف: 175]"<sup>(4)</sup>.

الإظهارُ في موضع الإضمار في: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾:

غرضُ الإظهارِ  
التَّعْظِيمُ وتَرْبِيَةُ  
المُهَابَةِ

جاء التَّعْبِيرُ في آيَاتِ السَّابِقَةِ بضمير المُتَكَلِّمِينَ، أو (نا) الفاعلين الَّتِي تَعُودُ على الله تعالى: ﴿جَعَلْنَكُمْ﴾، ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾، ﴿لِنَعْلَمَ﴾، أمَّا في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ فأظهر

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَّاف: 1/200، والزَّازِي، التفسير الكبير: 4/91.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/220.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/220.

(4) الباقولي، كشف الشكلاط: 2/109.

لفظَ الجلالة، ولم يُقَلْ: (وما كنّا)، وهذا عدولٌ إلى الإظهار بدل الإضمّار، والفرصُ منه التّعظيمُ وتربيةُ المهابة، قال ابنُ عاشور: "وذكرَ اسمَ الجلالة من الإظهار في مقام الإضمّار للتّعظيم"<sup>(1)</sup>.

**نُكْتَةُ نَفْيِ الْكَيْنُونَةِ دُونَ نَفْيِ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾:**

نفى الله كينونة إضاعة الإيمان في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، ولم ينفِ إضاعة الإيمان، فلم يقل: وما أضاع الله إيمانكم، ونحوه، "أي: ما كان الله مريداً أو متصدياً لأن يُضِيعَ الإيمانَ، ففي توجيه النفي إلى إرادة الفعل تأكيدٌ ومبالغة ليس في توجهه إلى نفسه"<sup>(2)</sup>؛ حيث أوقع النفي على ﴿كَانَ﴾، فنفي كينونة وجود الفعل، ولم يقل: (وما يريد الله أن يضيع إيمانكم)؛ ونُكْتَةُ ذلك أن نَفْيَ الكينونة أبلغ من نَفْيِ الفعل نفسه، وفي هذا تنزيهٌ لله تعالى من أن يُضِيعَ جزاء أحدٍ من عباده<sup>(3)</sup>.

تنزيه الله تعالى  
من أن يضيع  
جزاء أحدٍ من  
عباده

**بِلَاغَةُ النَّفْيِ مَعَ لَامِ الْجُحُودِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾:**

"أتى بِ﴿كَانَ﴾ الْمَنْفِيَّةِ بِ﴿وَمَا﴾ الْجَائِي بَعْدَهَا لَامُ الْجُحُودِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ لَا يَأْتِيَ بِلَامِ الْجُحُودِ، فَقَوْلُكَ: مَا كَانَ زَيْدٌ لَيَقُومَ، أَبْلَغُ مِنْ: مَا كَانَ زَيْدٌ يَقُومُ، لِأَنَّ فِي الْمِثَالِ الْأَوَّلِ: هُوَ نَفْيٌ لِلتَّهْيِئَةِ وَالْإِرَادَةِ لِلْقِيَامِ، وَفِي الثَّانِي: هُوَ نَفْيٌ لِلْقِيَامِ، وَنَفْيُ التَّهْيِئَةِ وَالْإِرَادَةِ لِلْفِعْلِ أَبْلَغُ مِنْ نَفْيِ الْفِعْلِ، لِأَنَّ نَفْيَ الْفِعْلِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ إِرَادَتِهِ، وَنَفْيُ التَّهْيِئَةِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِرَادَةِ لِلْفِعْلِ تَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْفِعْلِ، فَلِذَلِكَ كَانَ النَّفْيُ مَعَ لَامِ الْجُحُودِ أَبْلَغُ"<sup>(4)</sup>.

النفي بلام  
الجحود فيه  
مبالغة في النفي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/24.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/174.

(3) محمد الدبل، دليل البلاغة القرآنية: 1/198.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/20.

إِثَارَ لَفِظِ  
الخطاب ليتناول  
الماضين والباقيين  
تغليباً لحكم  
المخاطب

### نُكْتَةُ مُخَالَفَةِ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ بِذِكْرِ ضَمِيرِ الْمَخَاطَبِ بَدَلَ الْغَائِبِ فِي ﴿إِيْمَانَكُمْ﴾:

بعد تحويلِ القِبلة، أثارَ بعضُ المُسلمينَ تَساؤلاً عن إخوانِهِمُ المُسلمينَ الَّذِينَ قد ماتُوا ولم يُدركوا القِبلةَ الجَديدةَ، هل فقدوا أَجْرَهُمْ؟ فجاءت هذه الآيةُ بَياناً لذلك؛ فعلى هذا كان مُقتضى الكلامِ أن يكون الضَّميرُ في قولِهِ: ﴿إِيْمَانَكُمْ﴾ للغائِبينَ (إيمانَهُم)، ولكنَّهُ جاءَ بِمَخَاطَبِ الأحياءِ، وفي نُكْتَةٍ ذلك يقولُ الفَرَّاءُ: "أُسْنَدُ الإِيْمَانِ إلى الأحياءِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ، والمعنى فيمن ماتَ مِنَ المُسلمينَ قَبْلَ أَنْ تُحوَّلَ القِبلةُ؛ فقالوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: كيف بِصَلَاةِ إخوانِنَا الَّذِينَ ماتُوا على القِبلةِ الأولى؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تبارَكَ وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ يريدُ إيمانَهُم؛ لأنَّهُم داخلون معهم في المِلَّةِ، وهو كقولكَ للقومِ: قد قتلناكم وهَزَمْنَاكم، تريدُ: قَتَلْنَا مِنْكُمْ، فتواجهُهُم بِالقَتْلِ وهم أحياءٌ" (1).

ورأى الرَّاعِبُ أَنَّها جاءتْ كَذَلِكَ "تغليباً لِحُكْمِ الْمَخَاطَبِ على الْغَائِبِ في اللَّفْظِ" (2)، ومثله ابنُ عَطِيَّةٍ (3)؛ فمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إذا أَخْبَرُوا عن حاضِرٍ وَغَائِبٍ أن يُغْلِبُوا الْخُطَابَ فيقولوا: كُنْتَ أَنْتَ وَفُلانُ الْغَائِبُ فَعَلْتُمَا (4).

### الْمَجَازُ بِالْحَذْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾:

في قولِهِ تعالى: ﴿لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ إيجازٌ، بِحَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَتَقْدِيرُهُ: "لا يُضَيِّعُ ثَوَابَ إِيْمَانِكُمْ؛ لِأَنَّ الإِيْمَانَ قد انقضى وَفَنِيَ، وما كان كَذَلِكَ اسْتِحْمالَ حِفْظِهِ وإِضَاعَتِهِ، إِلَّا أَنْ اسْتَحَقَّاقَ الثَّوَابِ قائِماً بعد انقضاءهِ؛ فَصَحَّ حِفْظُهُ وإِضَاعَتُهُ" (5)، فالْمُضَافُ إِلَيْهِ المحذوفُ

ذَكَرَ الإِيْمَانَ بِدَلَ  
الثَّوَابِ لِبَيانِ  
قِيَمَتِهِ فِي النِّجَاةِ  
عِنْدَ اللهِ تَعَالَى

(1) الفَرَّاءُ، معاني القرآن: -83/1 84.

(2) الرَّاعِبُ، تفسير الراغب: 1/334.

(3) ابن عَطِيَّةٍ، للحرر الوجيز: -220/1 221.

(4) الرَّازِي، التفسير الكبير: 4/93.

(5) الرَّازِي، التفسير الكبير: 4/93.

هو لفظ "ثواب"، وهذا من الإيجاز بالحذف، وحَذَفَ المُضَافِ مَجَازٌ<sup>(1)</sup>؛ لأنَّ حَذَفَ لفظٍ وإقامة لفظ آخر مقامه لنوع من الارتباط بينهما لا يُمثَلُ الحقيقة على التَّمام؛ والعلاقة بينهما السَّبَبِيَّةُ، فحذفَ المُسَبَّب وهو الثَّواب، وأقام المُسَبَّب مقامه، ونكتة إبقاءِ المُضَافِ مكانَ المُضَافِ إليه، بيانُ قيمة الإيمان في النِّجاة، فإذا وُجِدَ الإيمانُ نجا المسلمُ، وإن ضاع الإيمانُ هلك المسلمُ بعده.

### هداية التعبير عن الصلاة بلفظ الإيمان في ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾:

"فإن قيل: ولم قال: ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ولم يقل: (صلواتكم)؟ قيل: عدل إلى لفظ الإيمان الذي هو عامٌّ في الصلاة وغيرها؛ ليقيدهم أنه لم يَضِعْ لهم شيءٌ مما عملوا به ثم نسخ عنهم"<sup>(2)</sup>.

"وسمى الصلاة إيماناً لما كانت صادرة عن الإيمان والتصديق في وقت بيت المقدس وفي وقت التحويل، ولما كان الإيمان قطباً عليه تدور الأعمال، وكان ثابتاً في حال التوجه هنا، وهنا ذكره؛ إذ هو الأصل الذي به يرجع في الصلاة وغيرها إلى الأمر والنهي، ولئلا تندرج في اسم الصلاة صلاة المنافقين إلى بيت المقدس، فذكر المعنى الذي هو ملاك الأمر، وأيضاً فسميت إيماناً إذ هي من شعب الإيمان"<sup>(3)</sup>؛ و"لأنَّ وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداءها في الجمعة دليل الإيمان"<sup>(4)</sup>، و"لأنَّها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين"<sup>(5)</sup>.

### بلادة الفاصلة القرآنية في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

جاءت جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ مفصولة عن سابقاتها؛ لأنها جاءت تجيب عن سؤال ينقذ في الذهن بعد سماع

الأصل هو  
الإيمان، وما  
يترتب عليه من  
أعمال فمردها  
إليه

تعليل عدم  
الإضاعة بذكر  
الأسماء  
الحسنى يُورث  
سكينة في القلب

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/146.

(2) الزاغ، تفسير الراغب: 333-1/334.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/221.

(4) النسفي، مدارك التنزيل: 1/139.

(5) الصاوي، حاشية الصاوي: 1/61.

الكلام السابق، فكأنه قيل: ما دليل عدم إضاعة إيمانهم؟ أو: لماذا لا يضيع الله إيمانهم؟ فأجيب بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>؛ فهذه الجملة تعليلية، وهي من قبيل التذييل الذي جيء به بياناً لسبب عدم الإضاعة<sup>(2)</sup>، فهي "جارية مجرى التعليل لما قبلها، للطف رافقه وسعة رحمته، نقلكم من شرع إلى شرع أصلح لكم وأنفع في الدين"<sup>(3)</sup>، ومثل هذا التعليل من شأنه إيراد الطمأنينة في قلب العبد، والراحة والسكينة في نفسه.

"ولما كان نفي الجملة السابقة مبالغاً فيها من حيث لأم الجحود، ناسب إثبات الجملة الخاتمة مبالغاً فيها، فبُوع فيها بأن وباللام وبالوزن على فعول وفعل، كل ذلك إشارة إلى سعة الرحمة وكثرة الرأفة"<sup>(4)</sup>.

### دلالة الألف واللام في قوله: ﴿بِالنَّاسِ﴾:

"الألف واللام في: ﴿بِالنَّاسِ﴾ يحتمل الجنس، كما قال: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7]، ويحتمل العهد، فيكون المراد بالناس المؤمنين"<sup>(5)</sup>.

### نكتة تقديم الجار والمجرور:

قدّم الجار والمجرور ﴿بِالنَّاسِ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ على متعلقه وهو ﴿لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وأصل الكلام: (لرؤوف رحيم بالناس)؛ للتبني على عنايته بهم تحفيزاً لهم ليشكروهم، و"اعتناء بالمرءوف بهم"<sup>(6)</sup>، مع إظهار حسن الفاصلة<sup>(7)</sup>.

### لطف الجمع بين صفتي (الرأفة والرحمة):

في تذييل الآية، جمع سبحانه بين صفتين متقاربتين في المعنى ﴿لَرَعُوفٌ﴾ و﴿رَحِيمٌ﴾، وفائدة هذا الجمع هو تأكيد المعنى المراد، ومن المعلوم أن الصفات وإن اتفقت في المعنى العام؛ فإنها تحتفظ

التبني على  
عناية الله  
بعباده ليشكروه

رأفته سبحانه  
خاصة بعباده  
الصالحين،  
ورحمته واسعة  
للخلق أجمعين

(1) محمد بن سعد الدّيل، دليل البلاغة القرآنية: 1/199.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 2/20.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 2/21، والهرري، حقائق الروح والريحان: -24 3/23.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 2/20.

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 2/21.

(6) أبو حيان، البحر المحيط: 2/21.

بدلالةٍ خاصّةٍ لا يمكنُ التعبير عنها بلفظٍ آخر، فالرّأفةُ هي شدّةُ الرّحمةِ، وهذا معنًى أخصُّ، والرّحمةُ أوسعُ من الرّأفةِ وأعمُّ، وعلاوةً على التّأكيد المُستفاد من الجمع بين الصّفتين المتقاربتين في المعنى، وثمّةُ فائدة لطيفة ودقيقة، مُفادها أنّ الله تبارك وتعالى يَصِفُ نفسه بأنّه رؤوفٌ شديدُ الرّحمةِ كثيرُها يتغشّى بها من يشاء من عباده الصّالحين المُنيبين ممّن علِمَ ألاّ أنّهم يستحقّون رَأْفَتَه، فإن كان ثمّةُ عبادٍ هم أقلُّ منهم في العمل والاجتهاد، فإنّ رحمتهِ الواسعةُ العامّةُ تشملهم، وفي هذا تحبيبٌ للتّوبة والإنابة إلى قلوبِ العباد.

### سببُ تقديم ﴿لَرُؤُوفٌ﴾ على ﴿رَجِيمٌ﴾:

قدّم صفةُ الرّأفةِ على الرّحمةِ؛ وذلك لسببين: الأوّل دلاليّ يتعلّق بتقديم ﴿لَرُؤُوفٌ﴾، والثّاني صوتيّ يتعلّق بتأخير ﴿رَجِيمٌ﴾.

الرّأفةُ شدّةُ  
الرّحمةِ  
وهي أقوى  
في الكيفيّةِ،  
والرّحمةُ أكثرُ في  
الكميّةِ

أما الدّلاليّ؛ فإنّ الرّأفةَ تعني شدّةَ الرّحمةِ، وهي أبلغُ في هذا الوصف من الرّحمةِ؛ فلذا قدّمها، ليبدأ بالصفةِ الأبلغِ في الدّلالة، "وقيل: الرّحمةُ أكثرُ من الرّأفةِ في الكميّةِ، والرّأفةُ أقوى منها في الكيفيّةِ؛ لأنّها عبارةٌ عن إيصال النّعم الصّافية عن الآلام، والرّحمةُ إيصالُ النّعمةِ مطلقاً"<sup>(1)</sup>.

وأما الصّوتيّ؛ فإنّ تقديم ﴿لَرُؤُوفٌ﴾ على ﴿رَجِيمٌ﴾ سيوقعُ صفةَ ﴿رَجِيمٌ﴾ في رأسِ الفاصلة<sup>(2)</sup>، وهذا يجعلها تتوافقُ مع الفواصل السّابقة، "وتأخّر الوصفُ بالرّحمةِ لكونه فاصلةً"<sup>(3)</sup>، وقضيّةُ التّوافق الصّوتي في رؤوس الآي له أثرٌ جماليّ في النّسج اللّفظيّ القرآنيّ، وأثرٌ جميلٌ في نفس المتلقّي، ولا يخفى أنّ النّصّ القرآنيّ مُتكاملٌ دلاليّاً وجماليّاً، وهو يُوظّفُ كلّ العناصر للتّأثير في نفس المتلقّي.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/174.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/26.

(3) أبو حيّان، البحر اللّحيّط: 2/21.

## ❁ الفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

(الْأُمَّةُ)، و(الشَّعْبُ)، و(الْجَمَاعَةُ)، و(الْفَرِيقُ):

استعمل في الآية ﴿أُمَّةٌ﴾، وجاء في مواضع آخر من الذكر الحكيم استعمال ألفاظٍ مقاربة مثل: شعب، وجماعة، وفريق، فما الفرق؟  
 الأمة: كلُّ جماعة يجمعهم أمرٌ ما، إمَّا دينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكانٌ واحدٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: 38]، وقوله - ﷺ -: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: 213] أي: صنفًا واحدًا، وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر، وقوله ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22] أي: على دينٍ مجتمع<sup>(1)</sup>.

الأُمَّةُ كُلُّ جَمَاعَةٍ  
يَجْمَعُهُمْ أَمْرٌ مَا

الْقَبِيلَةُ  
الْمُتَشَعِّبَةُ مِنْ  
حَيٍّ وَاحِدٍ،  
وَالشُّعُوبُ أَكْبَرُ  
مِنَ الْقَبَائِلِ

الشَّعْبُ: القبيلة المتشعبة من حيٍّ واحدٍ، وجمعه: سُعُوبٌ، والشُّعُوبُ أكبرُ من القبائل، وهو ما تشعب من قبائل العرب<sup>(2)</sup>، في الأمة معنى الانفصال والتمايز بأمر ما، وفي الآية ناسب أن يستعمل لفظ (الأمة) من هذا المعنى، خاصة أنه يمهّد لتحويل القبلة، أمَّا (الشَّعْبُ) فهو يرتبط بالنسب وتشعب القبائل، وهذا ليس مرادًا في الآية.

الْجَمَاعَةُ  
مَجْمُوعَةٌ مِنْ  
النَّاسِ

الْجَمَاعَةُ: مجموعة من الناس، من جَمَعَ.

الفريق: الجماعة من جماعةٍ أكثر منها، تقول: جَاءَنِي فَرِيقٌ مِنَ الْقَوْمِ، وفريقُ الخيل: مَا يَفَارِقُ جَمُورَهَا فِي الْحَلْبَةِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا<sup>(3)</sup>.

الْفَرِيقُ الْجَمَاعَةُ  
مِنْ جَمَاعَةٍ أَكْثَرُ  
مِنْهَا

## العلم والمعرفة:

المعرفة أخص من العلم؛ لأنّها علم بعين الشّيء مفصلاً عمّا سواه، والعلم يكون مُجَمَّلاً ومفصلاً، وكلُّ معرفةٍ علمٌ، وليس كلُّ علمٍ معرفةً؛ وَذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ الْمَعْرِفَةِ يُفِيدُ تَمْيِيزَ الْمَعْلُومِ مِنْ

(1) الرّاغِب، المفردات: (أَمّ).

(2) الرّاغِب، المفردات؛ والسّمين، عمدة الحَقَّاط: (شعب).

(3) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 277-280.

المعرفةُ أخصُّ  
من العلم؛  
لأنَّها علمٌ بعينِ  
الشيءِ مفصَّلاً  
عمَّا سواه،  
والعلمُ يكونُ  
مُجملاً ومفصَّلاً

غَيْرِهِ، وَلَفْظُ الْعِلْمِ لَا يُفِيدُ ذَلِكَ إِلَّا بِضَرْبٍ آخَرَ مِنَ التَّخْصِيسِ فِي ذِكْرِ الْمَعْلُومِ<sup>(1)</sup>، فَإِذَا قُلْتَ: عَلِمْتُ زَيْدًا؛ فَذَكَرْتَهُ بِاسْمِهِ الَّذِي يَعْرِفُهُ بِهِ الْمُخَاطَبُ لَمْ يُقَدِّمْ، فَإِذَا قُلْتَ: قَائِمًا، أَفَدْتَ؛ لِأَنَّكَ دَلَلْتَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّكَ عَلِمْتَ زَيْدًا عَلَى صِفَةٍ مَا، وَإِذَا قُلْتَ: عَرَفْتُ زَيْدًا أَفَدْتَ؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: عَلِمْتُهُ مَتَمِّيزًا مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ يَتَّفَقَانِ فِي الِاسْتِعْمَالِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ إِنَّمَا يَتَّبَيَّنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ جُمْلَةٌ غَيْرُ مُبْهَمَةٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ: تَعَلَّمْتُ أَنَّ لَزِيدَ وَلَدًا، وَقَوْلَكَ: عَرَفْتُ أَنَّ لَزِيدَ وَلَدًا يَجْرِيَانِ مَجْرًى وَاحِدًا، قَالَ أَبُو حَيَّانَ: "الْمَعْرِفَةُ: الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِالْمُفْرَدَاتِ، وَيَسْبِقُهُ الْجَهْلُ، بِخِلَافِ أَصْلِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالنَّسَبِ، وَقَدْ لَا يَسْبِقُهُ الْجَهْلُ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يُوصَفِ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَعْرِفَةِ، وَوُصِفَ بِالْعِلْمِ"<sup>(2)</sup>، فَنَاسَبَ الْآيَةَ التَّعْبِيرُ بِالْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِحَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَتَخَصَّصُ بِهَا، وَهِيَ هُنَا تَمْيِيزُ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَرْتَدِّ، وَلِأَنَّهُ لَا يَسْبِقُهُ جَهْلٌ أَسَدُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿لِتَعْلَمَ﴾، وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ الْمَعْرِفَةِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

### الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ:

الرَّأْفَةُ أْبْلَغُ مِنَ الرَّحْمَةِ<sup>(3)</sup>؛ لِأَنَّهَا أَشَدُّ الرَّحْمَةِ<sup>(4)</sup>، وَهِيَ أَرْقُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَلَا تَكَادُ تَقَعُ فِي الْكَرَاهَةِ، وَالرَّحْمَةُ قَدْ تَقَعُ فِي الْكَرَاهَةِ لِلْمَصْلَحَةِ<sup>(5)</sup>؛ فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّأْفَةَ أَوَّلًا، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَضِيعُ أَعْمَالُهُمْ، وَيُخَفِّفُ الْمِحْنَ عَنْهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّحْمَةَ لِتَكُونَ أَعَمَّ وَأَشْمَلَ<sup>(6)</sup>.

الرَّأْفَةُ أَبْلَغُ مِنَ  
الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّهَا  
أَشَدُّ الرَّحْمَةِ  
وَأَرْقُ مِنْهَا

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 80.

(2) أبو حيان، البحر للحيط: 1/478، والزبيدي، تاج العروس: (عرف).

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 196.

(4) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/59، وأبو حيان، البحر للحيط: 2/7.

(5) ابن منظور، لسان العرب: (رأف).

(6) الرازي، التفسير الكبير: 94 4/93.

## الانقلاب والنكوص:

الانقلاب ارتداد  
عن الدين  
ورجوع إلى  
الحالة السابقة  
له، والنكوص  
رجوع مُنْبَنٍ على  
خوفٍ وجبنٍ  
وإحجامٍ

قال ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ  
الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: 143].

وقال ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ  
مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48].  
أَصْلُ مَادَّةٍ (قَلْب) رُدُّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ، فَقَلْبُ الشَّيْءِ:  
تصريفه وصرفه عن وجهه إلى وجهه، كقلب الثوب، وقلب الإنسان،  
أي: صرفه عن طريقته، والانقلاب: الانصراف، قال: ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ  
أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ [آل عمران: 144]، وعبروا بالتركيب عن  
الرجوع إذ هو عكس الذهاب: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ [الطغفان: 31]:  
رجعوا، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ [آل عمران: 144]، فالانقلاب على العقب  
كناية عن الرجوع، وهو في سياق الآية بهذا المعنى؛ أي: الارتداد عن  
الدين والرجوع إلى الحالة السابقة للدين<sup>(1)</sup>.

وأَصْلُ مَادَّةٍ (نَكَصَ): الإحجام عَنِ الشَّيْءِ خَوْفًا وَجُبْنًا، فَتَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ: رَجَعَ  
عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ، لَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الرَّجُوعِ عَنِ الْخَيْرِ، وقوله تعالى: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ  
عَقْبَيْهِ﴾ [الأنفال: 48]: أي رجع إلى ورائه، ومثله قوله تعالى: ﴿فَكَثَّمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنَكُّصُونَ  
﴿٦٦﴾﴾ [المؤمنون: 66]، والنكوص: الإحجام عَنِ الشَّيْءِ وعدمُ الإقبال عليه<sup>(2)</sup>.

فالانقلاب هو ارتداد؛ لأنه رُدُّ مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى وَحَسْبُ بَلَا قِيدٍ، والانقلاب على  
العقب كناية عن الارتداد عن الدين والرجوع إلى الحالة السابقة له، وأمَّا النكوص فهو  
رجوع مُنْبَنٍ على خوفٍ وجبنٍ وإحجامٍ، وقد جاء هذا التعبير ﴿نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ في  
سياق الحديث عن الشيطان الذي أصيب بالخوف والهلع يوم بدرٍ فصاح: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا  
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة؛ الزاغب، للفردات؛ جبل، المعجم الاشتقاقي للصُّل: (قَلْب).  
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة؛ الزاغب، للفردات؛ السمين، عمدة الحَقَّاط: (نَكَص).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 2، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 8-53-798-9948-978

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 2: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 8-53-798-9948-978

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»